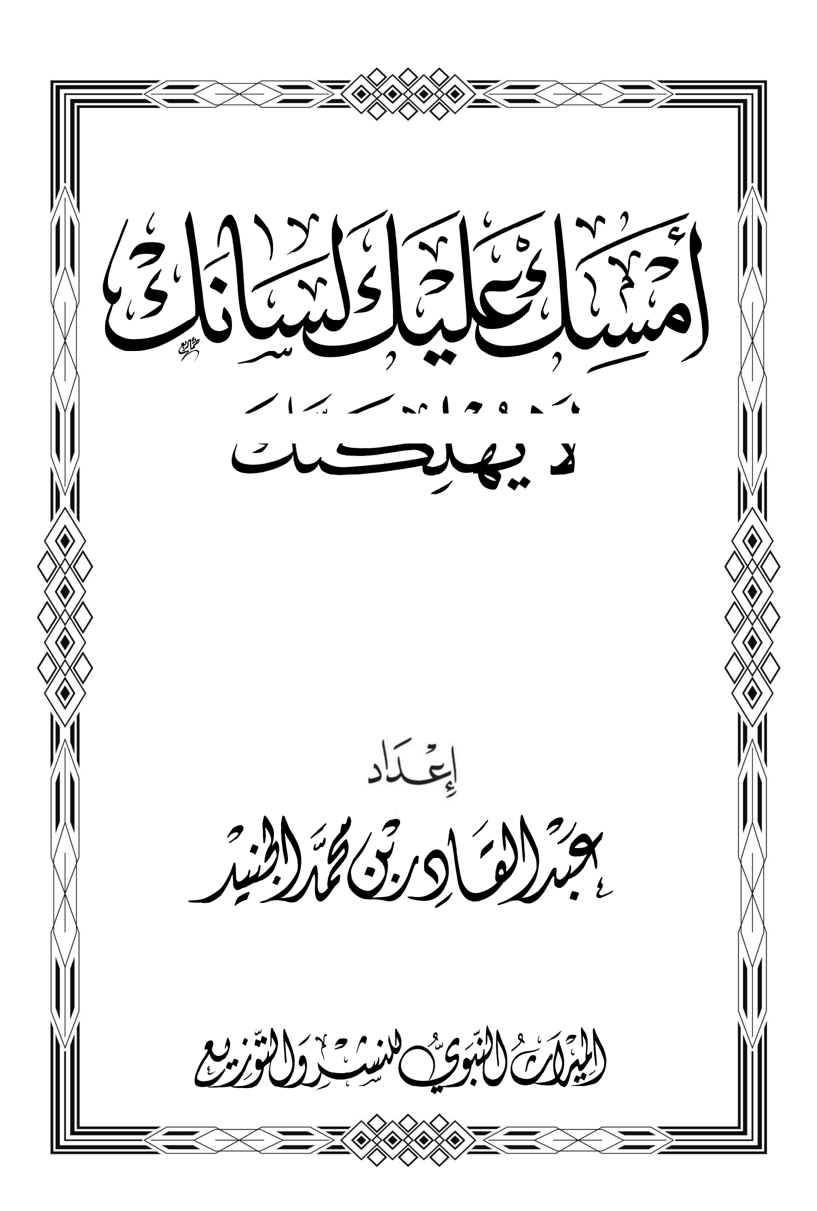
أمسك عليك لسانك

لا يهلكنك

إعداد

عبد القادر بن محمد الجنيد




أمسك عليك لسانك
لا يهلكك
إعداد
عبد القادر بن محمد الجنيد
الميراث النبوي للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى … في النص والعلماء هم وراثه
ما خلَّف المختار غير حديثه … فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني:5514- 2011
ردمـــــك: 978-9947-987-60-5

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)
الفاكس : 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com



تمهيد وتوطئة

الحمد لله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله الكريم، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين.

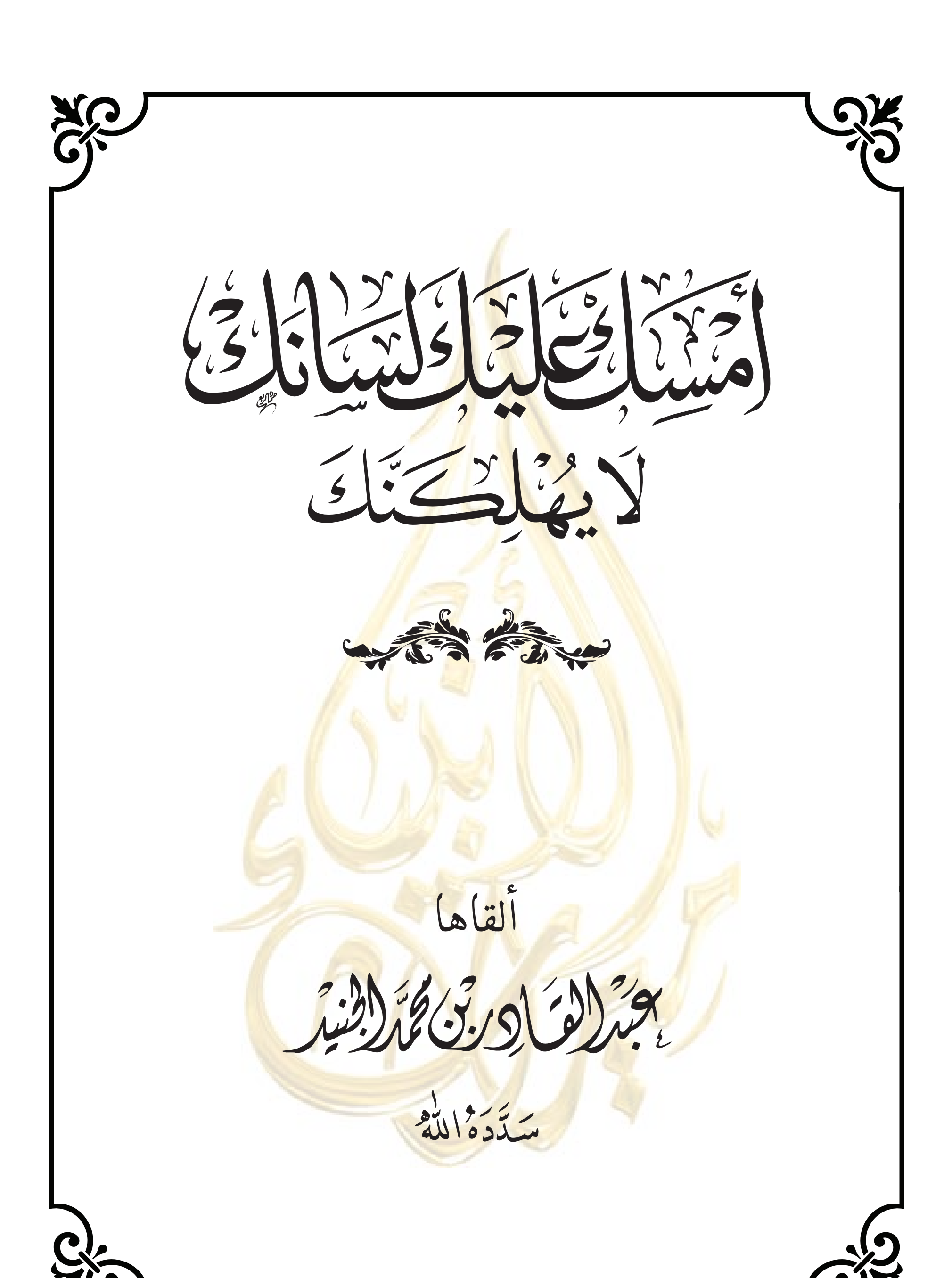
وبعد :

فهذه محاضرةٌ تحمل هذا العنوان: «**أَمسِك عَليكَ لِسانَك**»، وقد ألقاها أخونا: عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الجنيد -سدَّده الله-، وذلك عبر إذاعة «موقع ميراث الأنبياء».

miraath net

ثم قامت دار «الميراث النبوي للنشر والتوزيع» ببلاد الجزائر- زينها الله بطاعته - بتفريغها من التسجيل الصوتي، ثم عرضها علىٰ مُلقيها لطباعتها ومراجعتها، فأصلح ما تيسَّر له علىٰ عَجَلٍ واعتذار؛ لأن القول ليس كالتحرير، والوقت ليس فيه سعة وفسحة، وأذن بطبعها، ثم دفعها إلينا.

ونسأل الله الكريم أن ينفع بها القائل والقارئ والناشر، إنه سميعٌ مجيب.



أمسك عليك لسانك
لا يهلكنك

ألقاها

عبد القادر بن محمد الجنيد

سدده الله



الحمد لله العالِم بالبواطن والظواهر، المحيط بكلِّ خفيٍّ وجلي، المطَّلع علىٰ مكنون الصدور وخبايا الأمور، القائم علىٰ نفوس العالَم بآجالها، والعالِم بتقلبها وأحوالها، الْمَانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائِه.

الذي أمر العباد بكل ما فيه خير لهم وصلاح، ونهاهم عن جميع المضارِّ والقِباح، ومَنَّ علىٰ من شاء منهم بفعل الخيرات، وترك المنكرات، وجعل شغلهم بتحقيق الإيمان والعمل الصالح؛ يرجون تجارةً لن تبور، ويخشون يومًا لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتىٰ الله بقلب سليم؛ خالٍ من الشرك في الاعتقادات والأقوال والأفعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، المتفرد بالألوهية والوحدانية، المتوحد في العظمة والكبرياء والمجد والربوبية.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أكمل البريات، وأفضل الخلق في كل الخلال، وأعلاهم في كل خصلة حميدة، وسجية جميلة، فاللهم صلِّ وسلم

وبارك عليه، وعلىٰ آل بيته الأكارم، وعلىٰ أصحابه أولي المقامات العالية، والرشد والتقىٰ، والفعال الملاح، وعلىٰ كلِّ من بهديه اقتدىٰ واعتلىٰ، إلىٰ يوم الحشر والجزاء، والخلود الذي لا موت بعده.

أما بعد:

فيا أيُّها الإخوة ويا أيَّتها الأخوات:

اتَّقوا الله الجليل العظيم ربكم، اتَّقوه تقوىٰ تزيدكم قربًا منه، ومسارعةً إلىٰ ما يرضيه، وتدخلكم في حزبه المفلحين، وعباده المخلصين، ولا تغتروا بإمهاله لكم، وحِلمه عليكم، وأصلحوا أقوالكم وأفعالكم، فإنها محصاة عليكم، وإنكم لمجازون عليها، وقد قال ربكم جَلَّ وَعَلَا مخوفًا لكم ومحذرا: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[1].

﴿ **رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾: «يكتب كلَّ ما تُكلِّم به من خيرٍ أو شر، حتىٰ إنه ليكتب قوله: أكلت وشربت وذهبت وجئت ورأيت»، هكذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وثبت عن مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «ما من شيء يتكلم به العبد إلا

---

(١) [سورة ق:١٨].

أُحصي عليه، حتىٰ أنينه في مرضه».

ثم يوم القيامة تُحضر كُتُب الأعمال التي كتبتها الملائكة الكرام، فتطير لها القلوب، وتَعظُم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصُّم الصِّلاب تذوب، ويشفق منها المجرمون، فإذا رأوها مُسطِّرة عليهم أعمالهم، محصىٰ عليهم فيها أقوالهم وأفعالهم، قالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[1].

أي: مَالِ هَذا الكتاب لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة قلناها أو فعلناها إلا وهي مكتوبة فيه محفوظة، لم ينس منها عمل سر ولا علانية، ولا ليل ولا نهار.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]؛ شهيدٌ علىٰ الظواهر والسرائر، والخبايا والخفايا، والأقوال والأفعال، والحركات والسكنات.

أيُّها الخائفون على أنفسهم والخائفات:

قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) [سورة الكهف:٤٩].

(٢) [سورة المجادلة:٦].

ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

وهذه الآية الجليلة أصلٌ في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقَّدها؛ فإن رأىٰ زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح منه، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأىٰ نفسه مُقصرًا في أمرٍ من أوامر الله؛ بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه وإتقانه.

ولقد كانت المحاسبة للنفس -المحاسبة لأقوالها وأفعالها- من دَأَب الصالحين، وصنيع الملأ الغُرِّ الأولين، من الصحابة الأكرمين، والتابعين لهم في الدين بإحسان.

فقد صحَّ عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «سمعت عمر بن الخطَّاب وخرجت معه، حتَّىٰ دخل حائطًا فسمعته وهو يقول -وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط-: عمر بن الخطَّاب أمير المؤمنين بَخٍ بَخٍ، والله! لتتَّقينَّ الله أو

وهذا أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحاسب نفسه فيقول -وهو علىٰ المنبر-: «إني

---

(١) [سورة الحشر:١٨].

لَخائفٌ يوم ينادي منادٍ فيقول: يا عويمر، فأقول: لبيك رب لبيك، فيقول: أما علِمت؟ فأقول: نعم، فيُقال: كيف عمِلت فيما علِمت؟ فتأتي كل آية في كتاب الله زاجرة وآمرة تسألني فريضتها، فتشهد عليَّ الآمرة بأني لم أفعل، وتشهد علي الزاجرة بأني لم أنتهِ أو أترك، فأعوذ بالله من قلبٍ لا يخشع، ومن عملٍ لا ينفع، ومن صوتٍ لا يُسمع، وأعوذ بالله من دعاءٍ لا يُجاب».

وثبت عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «لا يكون الرجل تقيًّا حتىٰ يكون لنفسه أشد محاسبةً من الشريك لشريكه، وحتىٰ يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه؟».

ومن كلام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنّه لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همّته».

فرحم الله عبدًا، ورحم الله أمةً حاسَبَا نفسَيهما:

أَلم تفعلي كذا وكذا ؟.

أَمَا ستر الله عليكِ كذا وكذا ؟.

ثم ذكَّراها بإحسان الله إليها، وإنعامه عليها، وإمهاله لها، ثم ذمَّاها علىٰ تقصيرها في جنب الله، وألزماها بطاعته، وجنَّباها ما يسخطه.

أيُّها الإخوة والأخوات:

إن السلامة من غضب الله، ومن أليم عقابه، وشديد بأسه، وسرعة انتقامه، لها أثمان جميلة ترفع من قدر العبد، وتُعليه بين الخلق، وتجعله في رُقيٍّ مستمر، ولها أسباب بيِّنة لا تخفَىٰ، ألا وإن من أعظم أثمانها وأظهر أسبابها: حفظُ اللسان.

حفظ اللسان عن ماذا ؟.

حفظه عن صنوف اللغو من الكذب، والنميمة والغيبة، والسِّباب والشتائم، واللعن والقذف والبهتان، وشهادة الزور، وعيب الناس وهجائهم، وإلقاء النكت المضحكة عليهم.

وإن اللسان إن لم يُحفظ ويُصان ويُضبط أكبَّ صاحبه علىٰ منخره في نار جهنم، أَكبَّه في نارٍ تلظَّىٰ، في نار شديدة الهَول، كثيرة النَّكال، بعيدة القعر، بشعة المنظر.

وقد ثبت عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قلت: يا رسول الله! أَنُؤَاخَذ بكلِّ ما نتكلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْك أمك، يا معاذ بن جبل، وهل يَكُبُّ الناس علىٰ مناخِرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم**»[1].

بل إن اللسان قد يُلقي صاحبه في أسحق المنازل وأرداها وأشيَنها من النار؛ وذلك بسبب كلمة سوء ينطق بها دون أن يتدبَّرها أو يتفكَّر في قُبحها، وما يترتب عليها، فقد صحَّ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن فيها يزِلُّ بها في النَّار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»[2].

وثبت عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة في الرَّفاهية ليُضحك بها جلساءه تُرديه أبعد ما بين السماء والأرض».

وصحَّ عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال لمن يريد الجنة ويريد نعيمها والسؤدد

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وأحمد (٢٢٠١٦و٢٢٠٦٨)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والطيالسي (٥٦١)، وابن أبي شيبة (٢٦٤٩٨)، والحاكم (٣٥٤٨)، والبزار (٢٣٠٢و٢٦٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٨) -واللفظ له-، وفي «الأوسط» (٧٥٠٣)، وغيرهم من طرق عن معاذ بن جبل، وقد صححه الترمذي والحاكم والذهبي والألباني.

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٧).

فيها: «**من يضمن لي ما بين لَحْيَيْه وما بين رجليه أضمن له الجنة** »[(١)].

«**وما بين لَحْيَيْه**» هو: اللسان، «**وما بين رجليه**» هو: الفرج.

ألا فالخوف الخوف! والفزع الفزع! والنجاة النجاة! من هذا اللسان، قبل ساعة السِّياق، وبلوغ الروح التراقي، وقبل أن يُقال: أين المفر؟.

يوم يفر المرء من أعزِّ الناس عليه، وأقربهم إليه، وأشفقهم لديه، وأكرمهم عنده، وأجلهم وأحبهم وأرفعهم؛ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾[(٢)].

وثبت عن سفيان بن عبد اللّه الثَّقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلت: يا رسول الله! حَدِّثْنِي بأمر أعتصم به. قال: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ**». قال: قلت: يا رسول الله! ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ قال: فأخذ بلسان نفسه ثم قال: « **هذا** »[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) [سورة عبس:٣٤-٤١].

(٣) رواه أحمد (١٥٤١٨و١٥٤١٩) والترمذي (   ) وابن ماجه (٣٩٧٢) وغيرهم، وصححه الترمذي والحاكم وابن حبان والألباني.

وثبت عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إن البلاء مُوَكَّل بالقول».

فيا لله! ما أكثر من ندم إذا نطق! وأقل من يندم إذا سكت!.

بل إنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ثبت عنه أنه قال: « **مَن صَمَت نَجَا** »(١).

أيُّها الإخوة والأخوات:

لقد أدرك الصَّالحون الخائفون من ربهم الوَجِلون، أهل القلوب الخاشعة المنكسرة اللينة، أدركوا خطر هذه الجارحة، خطر هذه المضغة الصغيرة، خطر هذا اللسان علىٰ صاحبه الناطق به.

لَمَّا أدركوا هذا؛ رأيت من حالهم عجبًا، وسمعت عنهم رهبًا، وقرأت في سيرهم رشدًا.

---

(١) رواه أحمد (٦٦٥٤و٦٤٨١)، والترمذي (٢٥٠١)، والدارمي (٢٧٥٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١)، وابن وهب في «الجامع» (٣٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١١٣و١١٤أو١٤٦٩٧و ١٤٦٩٨)، وفي «الأوسط» ( ) وغيرهم، وقال ابن عبد البر:«ثبت»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٦)، وقال المنذري:«رواه الطبراني ورواته ثقات»، وقال أبو الفضل العراقي والسخاوي:«وهو عند الطبراني بسند جيد»، وقال ابن حجر:«رواته ثقات.

فثبت عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه ارتقىٰ علىٰ جبل الصَّفَا، فأخذ بلسانه ثم قال: «يا لسان! قُل خيرًا تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم، من قبل أن تندم، ثم قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**».

وثبت عنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «والله الذي لا إله غيره! ما علىٰ ظهر الأرض شيء أحوج إلىٰ طول سجنٍ مِن لسان».

وثبت أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دخل علىٰ أبي بكر الصديق وهو يَجبذ لسانه، فقال له: «مَه! غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد».

فإذا كان صديق الأُمة الذي موضعه من الدِّين والفضل والسابقة أعلىٰ المواضع، يخاف علىٰ نفسه من لسانه، يخاف أن يورده موارد الهلاك والعطب؛ فما ظنك بغيره!.

ولكن علىٰ قدر علم الإنسان يكون خوفه ووجله وإشفاقه، ولهذا قال الله تعالىٰ في شأن الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأمثاله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1].

وثبت عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «أحقُّ ما طهَّر المسلم لسانه».

---

(١) [سورة فاطر:٢٨].

وثبت عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مولىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «**طوبىٰ لمن خزن لسانه-أي: أحرزه وجعله في خزانة حفظًا له عن ما يضر-، وقعد في بيته، وبكىٰ علىٰ خطيئته**».

وثبت عن أبي الأشهب عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «كانوا يقولون: لسان الحكيم مِن وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلىٰ قلبه؛ فإن كان له قال؛ وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلىٰ قلبه؛ ما أتىٰ علىٰ لسانه تكلم به».

قال أبو الأشهب: «وكانوا يقولون: ما عَقَل دينه من لم يحفظ لسانه».

وثبت عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «مَن عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه».

وأعلىٰ من هذا كله وأجل، وأرغب وأفزع، وأروىٰ وأشفىٰ، وأهدىٰ وأبين، قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابت الصحيح: « **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** »[1].

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

أيُّها الإخوة والأخوات:

صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لأمته مبينًا وزاجرًا ومحذِّرا: «**كلُّ المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»(١).

وصحَّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في وصف المسلم: « **المسلم من سَلِم** »(٢).

فاتقوا الله في إخوانكم من المسلمين والمسلمات من أيِّ جنس أو بلد، وعرب أو عجم، وذلك بحفظ ألسنتكم عن غيبتهم، والوقيعة في أعراضهم؛ فإن ذلك من الذنوب الخطيرة، والسيئات الكريهة، والمنكرات البغيضة، ومكثرات الأوزار، وسيئ الخصال، وقبيح الخلال، وشنيع الفعال، ورديء الطباع.

فقد حرَّم ربكم ذلكم عليكم، وكَرِهه وقبَّحه، وبيَّن بشاعته، وأظهر شناعته، وأعظم القول فيه وأغلظه، فقال في سورة الحجرات: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ**﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو، ومسلم (٤١) من حديث جابر.

(٣) [سورة الحجرات:١٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»:

«وهذه الآية دليلٌ علىٰ التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر؛ لأن الله شبَّهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر».اهـ.

ولحم هذا الميت قد اجتمعت فيه ثلاث صفات تزيد في تكريهه وتبغيضه إلىٰ الناس:

أولا- كونه لحم إنسان.

ثانيًا- كون هذا الإنسان مسلمًا.

ثالثًا- كونه ميتًا.

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«فهل تجدون أقبح وأبشع من شخصٍ يجلس إلىٰ أخيه الميت فيقطع جيفته قطعة قطعة ويأكلها؟! هل تجدون أحدًا يمكن أن يطيق ذلك؟! ألا إن الذي يغتاب الناس هو الذي يطيق ذلك».اهـ.

وقال أيضًا:

«الغيبة من كبائر الذنوب التي لا تُكفِّرها الصلاة ولا الصيام، ولا الصدقة

ولا الحج، ولا غيرها من الأعمال الصالحة؛ بل تبقىٰ علىٰ الموازنة بين السيئات والحسنات كغيرها من الكبائر».اهـ.

وثبت عن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه مرَّ علىٰ بَغلٍ ميت، فقال لبعض من معه: «لأَن يأكل أحدكم من لحم هذا البَغل حتىٰ يملأ بطنه خيرٌ له من أن يأكل من لحم أخيه المسلم».

وصحَّ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال لأصحابه مُبينًا لهم ما هي الغيبة: **أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « **ذِكرُك أخاك بما يكره** ». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**»[١].

هذه هي الغيبة، وهذا معناها، إنه واضح جلي، بيِّن ليس بخفي، ظاهر ليس بخافت، معروف مشهور؛ إنها:«أن تذكر أخاك المسلم بما يكره سواء في خلقته، أو خُلقه، أو فعاله، أو في أحواله، أو في عقله، أو في ذكائه أو غير ذلك».اهـ، قاله العلامة العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩).

هذه هي الغيبة: أن تذكر أخاك المسلم بما يكره مما هو موجودٌ فيه، وواقعٌ منه وصادر.

أيُّها الإخوة والأخوات:

إن بعض الألسنة لا تكتفي بالاستطالة في عِرض رَجلٍ واحد من المسلمين؛ بل تستطيل إلىٰ مئات وألوف وملايين، فتسمع هذا يقول عن أهل بلاد أو عن قبيلة أو عن أهل جهة وناحية: هؤلاء خُبثاء.

وتسمع آخر يقول-عن أهل بلاد أو عن قبيلة أو عن أهل جهة وناحية ثانية-: هؤلاء كلاب.

وتسمع ثالث يقول: هؤلاء مجرمون.

وتسمع رابع يقول: هؤلاء حَمِير.

وتسمع خامس يقول: هؤلاء حُسَّاد.

وتسمع سادس يقول: هؤلاء خَوَنة.

وتسمع سابع يقول: هؤلاء مُرتزقة.

إلىٰ غير ذلك من الألفاظ التي تختلف من إنسانٍ إلىٰ إنسان، ومن قبيلةٍ إلىٰ قبيلة، ومن جهةٍ إلىٰ جهة، ومن بلدٍ إلىٰ بلد.

ولأَن كانت هذه الصفات موجودة في بعض؛ فلا يجوز أن يُعيَّن بها أهل بلد، وتعمَّم عليهم.

أَمَا كفىٰ هذا المسكين في جرِّ الويل إلىٰ نفسه أن يكون خصمه عند الله فرد واحد؛ حتىٰ تعدَّىٰ علىٰ أفواج؛ بل ديار وأمم؟!.

أأطلعه الله علىٰ غيب خلقه؟ وعرَّفه بهم واحدًا بعد واحد؟ حتىٰ حكم عليهم ووصفهم بهذه الأوصاف، أم هانت عليه حسناته فأصبح يهدرها سُدىٰ! أم أنه جَبُن وأصابه الخَور والضعف فعجز عن كبح شطط لسانه؟!

ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: قلتُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبك من صفيّة كذا وكذا،-تعني قصيرة- فقال: « **لقد قُلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمَزَجَتْه**». وحَكيتُ له إنسانًا فقال: « **ما أحبُّ أني حكيتُ إنسانًا وأن لي كذا وكذا** »[1].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢)، وصححه الترمذي والألباني، وحسنه السيوطي.

ومعنىٰ « **لو مُزجت بماء البحر لمزجَته**» أي: لو خُلطت هذا الكلمة التي قالتها في ضرَّتها بماء البحر علىٰ كبره وسعته لأثَّرت فيه، مع يُسرها علىٰ اللسان.

وثبت عن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:«كانوا يقولون: إذا قال الرَّجل للرَّجل يا كلب! يا حمار! يا خنزير!، قال الله تعالىٰ له يوم القيامة: أتراني خلقته كلبًا أو حمارًا أو خنزيرًا».

وثبت عن المسيب بن رافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لولده: «لا تقل لصاحبك: يا حمار! يا كلب! يا خنزير!، فيقول الله لك يوم القيامة: أتراني خلقت كلبًا أو حمارًا أو خنزيرًا».

رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال: ما رأيت الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله! ما أراني إلا قد اغتبت الرجل».

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمعت أبا عاصم يقول: «منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدًا قط».

وقال بكر بن منير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت أبا عبدالله البخاري يقول: «أرجو أن ألقىٰ الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا».

أيُّها الإخوة والأخوات:

إن بعض النفوس إذا دخلت في باب الغيبة خرجت منه بقدر كبير من الذنوب والآثام؛ حيث تستطيل وتتوسَّع في شأن مَن اغتابته، فتراها تسرد تاريخه لسامعيها أو مجالسيها أو مصاحبيها أو مسامريها، تسرد ما يشين من تاريخ حاضره وماضيه، وتُشرِّحه لهم تشريحًا شديدا، وتمزِّق لحمه بينهم تمزيقًا شنيعا؛ بأنه عندما كان في شبابه فعل كذا وكذا، وأجرم بكذا وكذا، وأخطأ وأساء بكذا، وفعل مع أخيه أو صاحبه كذا وكذا، وكان يعمل كذا وكذا، ويقول ويقول، وهكذا.

وبعض هذه النفوس إذا تكلمت عن مسلم له بشرة سوداء، تقلل من شأنه وتُنقص من قدره، فتقول: دعك من هذا العبد، أو هذا عبد كور أسود.

وهؤلاء قد جمعوا شرًّا علىٰ شر، وسوءً إلىٰ سوء، وقبحًا مع قبح؛ حيث آذوا هذا المسلم فقالوا فيه ما يكرهه؛ بل وقعوا فيما هو أشد وأخطر وأجرم وأشنع

وأبشع ألا وهو البهتان؛ حيث وصفوه بغير وصفه؛ وذلك لأن هذا الوصف لا يُقال إلا في الرقيق المملوك حال رِقِّه، لا فرق في ذلك بين صاحب بشرة سوداء أو بيضاء أو حِنطية أو سمراء، وبين العربي وغيره، فإن زال عنه رِقُّه وعبوديته بأن أُعتق وحُرِّر فلا يجوز لأحدٍ أن يصفه بذلك.

أمَّا من يوصف بالعبودية في أيامنا هذه لأجل سواد بشرته، فهم ليسوا كذلك؛ إنهم أحرار لا فرق بينهم وبين من تكلَّم فيهم، قد ولدت الجميع أمهاتهم أحرارًا.

وقد صحَّ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال لأصحابه: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذِكرُك أخاك بما يكره**». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**»(١).

أيُّها المغتاب للناس ويا أيُّتها المغتابة:

إنكم لمشئومون علىٰ أنفسكم، ومشئومون علىٰ جلسائكم؛ مشئومون علىٰ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩).

أنفسكم حيث قدتموها إلىٰ الشر والبغي؛ ومشئومون علىٰ جلسائكم لأنهم إذا لم ينكروا عليكم صاروا شركاء لكم في الإثم، وإن لم يقولوا شيئًا.

إنكم لن تضروا بالغيبة إلا أنفسكم، ولن تسودوا بها إلا صحائف أعمالكم، ولن تنقصوا بها إلا من أقداركم بين الخلق ومكانتكم، فاتقوا الله جَلَّ وَعَلَا في هذه النفس، وكونوا رحمة لها، لا شقاء عليها، وهوانًا وصغارًا لها؛ فإن الراحمين يرحمهم الله يوم القيامة.

إنكم إنما ترفعون بهذه الغيبة في الآخرة مِن حال مَن تغتابونهم، وتزيدون في حسناتهم، أو تخففون من آثامهم؛ فقد صحَّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال يومًا لأصحابه: «**أتدرون ما المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس مِن أمَّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دَمَ هذا، وضرب هذا، فيُعطَىٰ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناته قبل أن يُقضَىٰ ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار**»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

هذا والله! هو المفلس الشديد الإفلاس؛ إنه من ذهبت حسناته للناس، وطُرح من سيئاتهم وأوزارهم عليه؛ بسبب قيله وكلامه فيهم، واعتدائه عليهم.

قال إمام أهل الحجاز سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغيبة أشد من الدَّين؛ الدَّين يُقضىٰ، والغيبة لا تُقضىٰ».

وقال الإمام عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لولا أني أكره أن يُعصَىٰ الله لتمنيت أن لا يبقىٰ في هذا المصر أحدٌ إلا وقع فيَّ واغتابني، وأيُّ شيء أهنأ من حسنةٍ يجدها الرَّجُل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها، ولم يعلم بها».

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن غيبة إخوانكم إهداء أعمالكم الصالحة إليهم؛ فإنهم إن لم ينتصروا في الدنيا، أو يحلِّلُوكم أخذوا من أعمالكم الصالحة في الآخرة، فإن فَنيت أعمالكم الصالحة أُخِذ من أعمالهم السيئة، فطُرحت عليكم، ثم طُرحتم في النار».اهـ

وثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لَمَّا عُرج بي مررتُ بقومٍ لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال:**

هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم» [١].

وثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حذَّر ناشر عيوب الناس ومتتبِّع عوراتهم بأن يسلِّط الله عليه مَن ينشر عيبته ويتتبَّع عورته فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتَّبِع عورة أخيه، يَتَّبِع الله عورته حتىٰ يفضحه في بيته»** [٢].

أَوَ يهنأ المغتابون والمغتابات بعيش؟!

أَوَ تطيب لهم نفوس؟!

أَوَ تهدأ لهم خواطر؟!

أَوَ تسكن لهم جفون؟! وهم متوعَّدون بهذا العذاب، ومهدَّدون بهذا النكال، ومخوَّفون بهذا الخزي والبوار.

---

(١) رواه أحمد (١٣٣٤٠ ٤٨٧٨)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد (١٩٧٧٦ و١٩٨٠١)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وجوَّد إسناده زين الدين العراقي، وصححه الألباني، وله شواهد.

أيها الإخوة والأخوات:

لعلَّ ولاة أمور المسلمين وحكَّامهم وأمراءهم من أكثر الخلق حصولاً علىٰ الأجور؛ وذلك لكثرة من يغتابهم، وكثرة من يسبَّهم، وكثرة من يطلق العنان للسانه فيهم، حتىٰ إنه لا يكاد يسلم من ذلك إلا قليل؛ أَلا وإنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع، وأولىٰ أن يُعمل به، وأجدر أن يُدعىٰ إليه، حتىٰ ولو شَقَّ علىٰ النفوس، وصَعُبت مجاهدتها عليه، وقلَّ الْمُعين فيه.

وقد ثبت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب»[1].

وثبت عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

بالمعروف؟: «فإن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه؛ ولا تَعِب إمامك».

وقال العلامة الفوزان -سلمه الله-:

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٥)، وقال الألباني: إسناده جيد ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر.

«الكلام في ولاة الأمور من الغيبة والنميمة، وهما من أشدِّ المحرمات، وغيبتهم أشد من غيرهم؛ لِمَا يترتب عليها من المفاسد، من تفريق الكلمة، وسوء الظن، وبعث اليأس في نفوس الناس والقنوط».اهـ

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والعجب أن بعض الناس من أهل الدِّين لو أردت أن تتكلم في شخص عادي من الناس قالوا: لا تغتبه، هذا حرام. لكن لو تكلمت في واحد من ولاة الأمور تكيَّف، مع إنه في غير ولاة الأمور ما يرضىٰ أن يتكلم أحد في عِرض أحد عنده، لكن في ولاة الأمور يرىٰ أن هذا لا بأس به، وهذه مسألة مَرِض بها كثير من الناس، وأنا أعتبرها مرض–نسأل الله أن يعافينا وإياكم من هذا الداء – ابتُلىٰ به كثير من الناس».اهـ.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

«كذلك الأمراء إذا اغتبت أميرًا أو ملكًا أو رئيسًا أو ما أشبه ذلك، فليست هذه غيبة شخصية له فقط؛ بل هي غيبة له، وفساد لولاية أمره؛ لأنك إذا اغتبت الأمير أو الوزير أو الملك معناها أنك تشحن قلوب الرعية علىٰ ولاتهم، وإذا

شحنت قلوب الرعية علىٰ ولاة أمورهم فإنك في هذه الحال أسأت إلىٰ الرعية إساءة كبيرة؛ إذ أن هذا سبب لنشر الفوضىٰ بين الناس، وتمزق الناس وتفرقهم، واليوم يكون رميًا بالكلام، وغدًا يكون رميًا بالسِّهام؛ لأن القلوب إذا شُحِنت وكَرِهت ولاة أمورها، فإنها لا يمكن أن تنقاد لأوامرهم، إذا أمرت بخير رأته شرا، ولهذا قال الشاعر كلمةً صادقة، قال:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كليلةٌ   كما أنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المساوئَ

فأنت مثلاً إذا اغتبت أحدًا من الكبار الذين لهم ولاية أمر علىٰ المسلمين، قيادةً دينية، أو قيادةً تنفيذيةً وسُلطة، فإنك تُسيء إلىٰ المسلمين عمومًا من حيث لا تشعر، قد يظن بعض الناس أن هذا يشفي من غليله وغَليانه، لكن كيف يصبَّ جَامَه علىٰ أمن مستقر ليقلب هذا الأمن إلىٰ خوف، وهذا الاستقرار إلىٰ قلق، ... إذا كنت ذا غليان، أو إذا كان صدرك مملوءًا غيظًا، فصبَّه علىٰ نفسك قبل أن تصبَّه علىٰ غيرك، انظر مساوئك أنت، هل أنت ناجٍ من المساوئ؟ هل أنت سالم؟ أولُ عيبٍ فيك أنك تسب ولاة الأمور وتغتاب ولاة الأمور، قد يقول: أنا أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر. نقول: حسنًا ما قصدت، ولكن

البيوت تُؤتىٰ من أبوابها؛ فليس طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تنشر معايب ولاة أمورك، لأن هذا مما يزيد المنكر».اهـ.

أيُّها الإخوة والأخوات:

إن تحذير الناس من أهل البدع ودعاتها وذمهم والقدح فيهم وعيبهم، وبيان ما هم عليه من البدع والضلالات، لا يدخل في الغيبة باتفاق أهل العلم، لا خلاف بينهم في ذلك؛ بل هو من الأمور المطلوبة في الشريعة، ومن الأعمال التي يُؤجر عليها الإنسان إن قصد بذلك نصيحة المسلمين، وإبعادهم عن هذا الذي يدعو إلىٰ البدع وما هو عليه مِن بدع؛ وذلك لأن التحذير من الشر وأهله في أمر الدنيا مطلوب؛ بل ومن النصيحة، ومن حبِّ الخير للناس، لا يختلف في ذلك عاقل، فكيف بتحذيرهم من الشر الذي يضر بالدِّين، ويضر بالآخرة، لا شك أنه أولىٰ وأوكد.

وعلىٰ هذا الطريق المستقيم سار أهل السُّنة منذ عهد الصحابة-رضي الله عنهم-إلىٰ اليوم، حتىٰ قال الإمام محمد بن أبي عبدالله الشهير بابن أبي زمنين المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «أصول السنة» (٢٩٣):

«ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويخوفون فتنتهم، ويخبرون بخلافهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم، ولا طعنًا عليهم».اهـ.

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣١- ٢٣٢):

«ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق

إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّىٰ واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين؛ هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبل الله ودينه ومناهجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم علىٰ ذلك واجبٌ علىٰ الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدِّين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن

هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدِّين إلا تبعا؛ وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء».اهـ.

وقد ثبت عن غير واحد من أئمة التابعين -رحمهم الله- فمن بعدهم أنهم كانوا يقولون: «لا غيبة لمبتدع».

ومعنىٰ هذا: أن عيب أهل البدع وذمهم، والقدح فيهم والتحذير منهم، ومن مجالستهم وكتبهم وأشرطتهم وخطبهم ومحاضراتهم لا يدخل في باب الغيبة المحرمة.

بل إن في تحذير الناس منهم ومن ضلالاتهم مصالح جمة؛ مصالح لهذا المبتدع المُحَذَّر منه؛ حيث يجعله هذا التحذير يترك البدع، ولا ينشرها بين الناس، أو يتسبَّب في أن يُقلل منها، فتقلُّ بذلك السيئات في صحائف أعماله، وتخف أوزاره لتناقص أعداد متابعيه علىٰ البدع.

وفيه مصالح لعموم الناس؛ حيث يحذرونهم ولا يتابعونهم علىٰ بدعهم، فيسلم لهم دينهم، وتسلم لهم آخرتهم.

وخلاصة ذلك:

أنَّ الكلام في هذا المبتدع والتحذير منه، رحمة شديدة؛ رحمة بالناس، ورحمة بالمبتدع، لو كان المبتدع ومن يستمع إليه يعقل.

أيها الإخوة والأخوات:

إن من الناس من درج لسانه علىٰ السباب والشتم، وعلىٰ اللعن والفحش، حتىٰ إنك لتسمع من بعضهم شديد السَّب واللعن وأنكره وأغلظه وأبشعه، وقد يكون خروج هذا منه حتىٰ علىٰ أبنائه وبناته، وإخوانه وأخواته، وأصحابه وجلسائه، بل قد يظن السامع أن النطق بهذا قد أصبح علىٰ بعض من يراهم ويسمعهم ويخالطهم من أسهل الكلام وأيسره، يخرج منه مرارًا، وفي أوقات كثيرة، وعلىٰ يسير الأمور وسهلها، وأحيانًا وهو يضحك ويمزح.

أَمَا طرقَ أسماع هؤلاء؟ أَمَا قرأت عيونهم؟ أَمَا أفزع قلوبهم ما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك من الأحاديث؟.

أَمَا كفاهم أنه نفىٰ هذه الخلال عن المؤمن؟.

حيث ثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ليس المؤمن بطعَّان ولا بلعَّان ولا الفاحش البذيء**»(١).

أَمَا رَدَعَهم أن سِباب إخوانهم في الدِّين فسوق؟.

حيث صحَّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**سباب المسلم فسوق**»(٢).

أَيرضىٰ عاقل لنفسه بأن يدخل بهذا الباب في سلك الفاسقين؟.

أَمَا أيقظهم أن هذا اللعن من أسباب حرمانهم أن يكونوا شفعاء وشهداء عند الله يوم القيامة؟.

فقد صحَّ عن زيد بن أسلم أن عبد الملك بن مروان بعث إلىٰ أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلمَّا أصبح قالت له أم الدرداء: سمعتُك الليلة لعنتَ خادمك حين دعوته، فقالت سمعت أبا الدّرداء يقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا**

---

(١) رواه أحمد (٣٨٣٩) -واللفظ له-، والترمذي (٣٨٣٩)، وابن حبان (١٩٢)، والحاكم (٢٩و٣٠) وغيرهم، وصححه الحاكم وابن حبان والألباني، وحسنه ابن قطان الفاسي.

(٢) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

يكون اللَّعَّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[١].

وثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللَّعنة إلىٰ السَّماء فتُغلق أبواب السَّماء دُونها، ثمَّ تهبط إلىٰ الأرض فتُغلق أبوابها دونها، ثمَّ تأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلىٰ الذي لُعِن، فإن كان لذلك أهلاً وإلاَّ رجعت إلىٰ قائلها»**[٢].

وثبت عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كنا إذا رأينا الرَّجل يلعن أخاه رأينا أن قد أتىٰ بابًا من الكبائر».

أَمَا أسكتهم أن الله لا يحب الفحش من القول، وأنه يبغض صاحبه؟.

فقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إياكم والفحش؛ فإن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش»**[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٥) وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) رواه الحاكم (٢٨)، وابن حبان (   ) وغيرهما، وصححه الحاكم وابن حبان والألباني.

وثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن الله ليبغض الفاحش البذيء**»[١].

و«**البذيء**»: الفاحِش السَّيئ القول.

أيها الإخوة والأخوات:

إن النميمة لَمِن كبائر الذنوب وشدادها، ومن أكثرها فسادًا وضررا، وأعظمها كدرًا وبؤسا، صاحبها مهدد بالعذاب في القبر، ومتوعد بالنار ونكالها.

وقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في شأن صاحبها: «**لا يدخل الجنَّة نمَّام**»[٢].

فيا لله! ما أشد هذا الوعيد!.

وما أكبره وأغلظه!.

وما أقواه من زاجر وأمنعه لمن عقل وتدبر، وأبصر فلم يتهور!.

بل إن النميمة من أسباب عذاب القبر -أعاذنا الله منه-؛ فقد صحَّ عن ابن

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وابن حبان (٥٦٩٣و٥٦٩٦)، وصححه الترمذي وابن حبان والألباني.

(٢) رواه مسلم (١٠٥).

عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: مرَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يُعذَّبان في قبورهما، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير**»، ثم قال: «**بلىٰ، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنَّميمة**»(١).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا معنىٰ النميمة كما في «مجموع فتاويه» (٣/ ٢٨٧-٢٨٨):

أو من قبيلة إلىٰ قبيلة، لقصد الإفساد، والوقيعة بينهم.

وسواء أكان ذلك الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو بالإيماء، وسواء أكان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان ذلك عيبًا أو نقصًا في المنقول عنه أو لم يكن؛ فيجب أن يسكت الإنسان عن كل ما يراه من أحوال الناس إلا ما في حكايته منفعة لمسلم أو دفع لشر.

والباعث علىٰ النميمة: إما إرادة السوء للمحكي عنه، أو إظهار الحب

---

(١) رواه البخاري (٢١٦و٢١٨و١٣٦١و٦٠٥٢و٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢).

للمحكي عليه، أو الاستمتاع بالحديث والخوض في الفضول والباطل، وكلُّ هذا حرام.

وكلُّ من حُملت إليه النميمة بأي نوعٍ من أنواعها يجب عليه عدم التصديق؛ لأن النمام يعتبر فاسقًا مردود الشهادة، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾.

وعليه أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويُقبِّح فعله لقوله تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾

وأن يبغضه في الله وألا يظن بأخيه المنقول عنه السوء، بل يظن به خيرًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾، ولقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إيَّاكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث**» متفق علىٰ صحته».اهـ.

أَلاَ فالحذر، الحذر! والبعد، البعد! عن النميمة؛ فإن فيها فساد الدِّين والدنيا، وتفكك المجتمع، وإلقاء العداوة والبغضاء بين أهله وأفراده،

وحلول النقم والبلاء، وهي بضاعة كل بطَّال، خسيس النَّفس أو جبان، ثقيل طبعه علىٰ الناس، خفيف عمله في الميزان، يخاف منه الكريم كما يخاف من الثعبان، ويطمئن إليه اللئيم لأنه تابع للشيطان في التفريق بين الإخوان، ويفعل بين الأصدقاء والخلان فعل النار في الهشيم.

ويا لله! كم فرَّق النَّمامون بين أبٍ وابنه، وبين أخٍ وأخيه، وبين صاحب وصاحبه، وبين شيخ وتلميذه، وبين شيخ وشيخ، وبين رجل وامرأته، وبين جار وجاره؟ كان الود والوئام قائما، والألفة والمحبة ظاهرة، والتزاور والتهادي مستمرا، فحلَّ البُغض والكراهية، وسَرَت الأحقاد والضغائن، ووقع التدابر والتهاجر والتقاطع، وسُلِّط الذم والغمز واللمز.

هذا وأسأل الله الكريم أن يطهِّر قلوبنا من الغلِّ والحقد والحسد، وألسنتنا من الغيبة والنميمة، ومن السبِّ والشتم، ومن الكذب واللعن، ومن فُحش القول ورديء الكلام، اللهم احفظ علينا أسماعنا وألسنتنا عن كلِّ قولٍ أو فعلٍ لا يرضيك عنا، ويسخطك علينا، اللهم اغفر لنا ولمن أسأنا

إليه من المسلمين بقولٍ أو فعلٍ، وتجاوز عنَّا وعنه، واجعلنا وإياه مِمَّن يعفو ويصفح إنك سميع الدعاء.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.





الميراث النبوي للنشر والتوزيع
الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213)
المبيعات: 661409999 (00213) فاكس: 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com